المقاربات ودلالاتها بين المعايير النقديَّة في مختارات باب التَّشبيه في كتاب الكامل للمبرِّد

Approaches and their implications between the critical criteria in the anthology of the chapter on the analogy in the book al-Kamil al-Mubarrad

أ.د. نزار شكور شاكر: كلية التربية الأساسية، جامعة السليمانية، العراق

Prof. Dr. Nizar Shakur Shaker: College of Basic Education, University of Sulaymaniyah, Iraq

Email: Nzar.shaker@univsul.edu.iq

المستخلص:

يهدف البحث الموسوم المقاربات ودلالاتها بين المعايير النقدية في مختارات باب التشبيه في كتاب الكامل للمبرد إلى تأشير بعض المقاربات ودلالاتها ضمن العَيِّنَة التشبيهية المختارة في الكتاب وذلك باعتماد المنهج الوصفي، ولهذا الغرض المشار إليه تمَّ تقسيم البحث النقدي على زاويتين تجمعان عدداً من المعايير النقدية لغرض تحديد أبرز المقاربات بينهما المتمثلة بالذوق الجمالي والبعد التثقيفي ودلالاتها التي كشفت عن بعض التطبيقات التي جاءت من حقل التشبيهات الشعرية وذلك تلبية لمتطلبات نقدية، ومن أهم التوصيات التي خرج بها هذا البحث: دراسة المُقاربات والمُباعدات الشعريَّة لدى المبرِّد – دراسة نقديَّة.

الكلمات المفتاحية: المقاربة، المعيار، النقد، التشبيه، الكامل

Abstract:

The research tagged with the approaches and their implications between the monetary criteria in the anthology of the chapter on the analogy in the book of Al-Kamil Al-Mubarred aims to indicate some of the approximations and their connotations within the simulation sample selected in the book, by depending on the descriptive approach. For this purpose referred to, the critical research was divided into two angles that combine a number of critical criteria for the purpose of determining the most prominent approaches between them, represented by aesthetic taste and the educational dimension and its implications, which revealed some applications that came from the field of poetic similes in response to critical requirements. For this purpose referred to, the critical research was divided into two angles that combine a number of critical criteria for the purpose of determining the most prominent approaches between them, represented by aesthetic taste and the educational dimension and its implications, which revealed some applications that came from the field of poetic similes in response to critical requirements. The most important recommendations that came out of this

research: Study of the poetic approximations and spacings of Al-Mubarrad - a critical study.

Keywords: Approach, criterion, criticism, analogy, Alkamel

الإطار المنهجي للدراسة:

المقدمة:

تفيد عمليات الاستقراء والتَّتَبُّع أنَّ منهاج النقد العربي القديم ما زال يكشف لنا عن آفاق معرفية جاءت ضمن المُصنفات التي أفادت الوقوف عند أبواب وأقسام عرضت الأنساق التأليفية فيه على حسب منهاج المؤلِّفين ويعدُّ كتاب الكامل في اللغة والأدب أنموذجاً من النماذج الرائدة في هذا الميدان إذ ضم باب التشبيه الوارد فيه، ويسعى البحث الحالي ضمن إجراءاته إلى دراسة المقاربات ودلالاتها ضمن العَيِّنَة التشبيهية المختارة من أبواب الكتاب المذكور بوصفها فرضية بحثية، وذلك ضمن اعتماد المنهاج الوصفي لهذا الغرض ويتألف البحث من زاويتين وخاتمة مع ذكر أبرز النتائج والتوصيات فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع.

أسئلة الدراسة:

1- إلى أي مدى هنالك ملامح للمُقاربات ودلالاتها بين المعايير النقديَّة الواردة في مختارات باب التَّشبيه في كتاب الكامل؟
2- كيف يمكن تحديد ذلك الفضاء الذي تتشكَّل فيه أبعاد هذا الموضوع ولاسيَّما في ضوء توافر بعض المظاهر الدالة عليه التي أخذت ضمن أبعاده النقدية سياقات توجب التَّتَبُّع والوقوف عندها في إطار البحث الأكاديمي الذي يسعى إلى تقديم إجابات عن ذلك.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهاج الوصفي في البحث الحالي لغرض تحديد أفق الظاهرة وتداعياتها إذ أسهم المنهاج المذكور ضمن خطواته في الوقوف عندها وتحليل أبرز أبعادها على النحو الذي ورد في خاتمة البحث ونتائجه والتوصيات التي خرج بها بهذا الشأن.

هدف الدراسة:

تحديد أبرز المقاربات والدلالات المنبثقة عنها بين المعايير النقدية الواردة ضمن مختارات باب التشبيه في كتاب الكامل للمبِّرد.

أهمية الدراسة:

تمثِّل الدراسة قراءةً نقدية متواضعة لما جاء به باب التشبيه في كتاب الكامل من أبعاد نقدية ومخرجاتها(المقاربات ودلالاتها) التي كانت كما يبدو على صِلة وثيقة بما وُظِّفَ في نطاق التراث النقدي العربي وأصوله المعتمدة ولاسيَّما ضمن إطار تلك التَّوجهات الرائدة إلى البحث في أبعاد الفن البلاغي وقوامه ضمن أبواب مُستقلة بالدرس النقدي في ضوء توافر المقوِّمات لذلك، إذ يتطلَّب هذا العَمل توافر مقوِّمات خاصة تسهم في إبراز (القيمة البحثية) في هذا المجال ذات الأبعاد الفكرية التي تسهم في إنارة العقول والأذهان.

توطئة:

لغرض تحديد المقاربات بين المعايير النقديَّة ودلاللتها سنعمد إلى ذكر أبرز المعايير النقدية الواردة في باب التشبيه من أبواب كتاب الكامل للمبرِّد وذلك بناءً على رصد المبرِّد أقسام التشبيه في كتابه المذكور من زاويتين، إذ تمَّ الرصد من (زاوتين: زاوية النعوت والأحكام الموظَّفة لإبراز المفعول الجمالي وحظِّه من الحسن وفضل تشبيه على آخر(...)، والزاوية الثانية أدق من الأولى وأكثر صرامة، لأنَّها تركِّز التقسيم على أساس ثابت، ونظرية مسبقة عن علاقة الفن بموضوعه والصورة بمثالها فالتشبيه يقع من القصد الذي عقد من أجله في أربعة محال. فأما أن يصيبه فيسمى التشبيه "مصيباً " وأما أن يقع قريباً منه ويسمى "مقارباً" وأما أن يبتعد ويسمى "بعيداً" وأما أن يتجاوز الحد فيسمى " مفرطاً ")[1].

[1] صمو، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب / أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسية، 1981، 365. وينظر: المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، تح: د. عبد الحميد هنداوي، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1998، 424.

الزاوية الأولى

ثمَّة الكثير من الأحكام الانطباعية ـ الذوقية وردت في هذه الزاوية سنكتفي بذكر أبرزها تلافياً للتكرار الذي يقع ضمن الإشارة إلى أقسام التشبيه لدى المبَرد من هذا البعد النقدي [1] مع ضرورة الانتباه إلى أن الزاوية الثانية من زوايا هذا البحث ستؤشَّر من جانبها أحكاماً أخرى دارت في هذا الفلك جاءت لغرض الوقوف على أصناف التشبيه لدى المبرِّد في الكتاب المذكور آنفاً، نذكر منها:

جودة التشبيه: تعدُّ الجودة المقترنة بالاستحسان الذاتي ـ الجمالي أحد المعايير النقدية التي وردت في باب التشبيه ومعانيه في الشعر القديم فمن (أمْلحُ ما قيل في هذا وأجْوَدُهُ معنىً قولُ امرىء القيس:

وقَدْ أغْتَدِي والطَّيْرُ في وُكُنَاتَهَا بمُنْـجَرِدٍ قَـيْدَ الأوابِدِ هَيْـكَلِ

فجعله للوحش كالقَيْدِ) [2].

وأبرز ما يدور في هذه الدائرة توافر صِيغ الحكم على بعض التشبيهات المقترن بمعيار التشبيه الموصوف ولاسيَّما المتماثل منها في الفن والموضوع، والمتقارب من جهة التمثيل مع الواقع، من نحو إطلاق عبارات: التشبيه القاصد الصحيح، والتشبيه الجامع، وجملة التشبيهات العربية المفهومة، نقرأ (من التشبيه القاصِدِ الصحيح قولُ النَّابغة:

وَعِيدُ أبي قابُوسَ في غير كُنْهِهِ أتانِي ودُونِي رَاكِس فالضَّـواجِعُ

فَبِتُّ كَأنِّي سَـاوَرَتْنِي ضَئِيلة مِن الرُّقْشِ فِي أنيابِها السُّمُ ناقِعُ

يُسَهِّدُ مِنْ لَيلِ التَمـامِ سَلِيمُها لِحَلْيِ النساءِ في يَدَيْـهِ قَعاقِعُ

تَنَاذَرَها الرَّاقُونَ مِـن سُوءِ سُمِّها تُطَلَّقُهُ طَوْرًا وطَـوْرًا تُرَاجِعُ

فهذه صِفةُ الخَائِف المَهموم. ومثلُ ذلك قولُ الآخر:

تَبِيتُ الهُمُومُ الطارِقاتُ يَعُدْنَنِي كَما تَعْتَرِي الأوْصَابُ رأسَ المُطَلَّقِ

و" المُطَلَّق" هو الذي ذكره النابغةُ في قوله:

[1] ينظر: بن حدو، وهيبة، التشبيه عند المبرد، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر 2006م، 77 ومابعدها.

[2] المبرد، 2: 409.

تُطَلَّقُهُ طَوْرًا وطَـــــــــــــــوْرًا تُرَاجِع

وذلك أنَّ المنهوشَ إذا أَلَحَّ الوجعُ به تارةً وأمْسَكَ عنه تارةً فقد قارب أن يُؤْنَس بُرْؤُه. وإنما ذَكَرَ خوفَه من النعمان وما يَعْتَرِيه من لَوْعَةٍ في إثْرِ فَتْرَةٍ، والفَتْرَة سِيما الخائفِ، ولايَنامُ إلا غِرَاراً، فلذلك شُبِّهَ بالمَلْدُوغِ المسَهَّدِ) [1].

ومن استحسان صيغة التشبيه الجامع بوصفه مزيَّة جمالية تقوم على توظيف الفن في الموضوع المعالج لدى الشاعر المُحدث ما جاء في القول: (ومن حَسَنِ التَّشْبِيه قولُ بَشَّارٍ:

وكأنَّ تَحـــــــــــتَ لِسانِها هاروتَ يَنْفُثُ فِيه سِـــــــحْرَا

وتَخالُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْـ ـــهِ ثِيابَهَا ذَهَـــــــــبًا وعِـــطْرَا

وهذا التشبيهُ الجامعُ). [2]

ومن التشبيهات العربية المفهومة قول المبرّد في سياق رصد عددٍ منها بعد الانتباه إلى ما تحيل إليه في هذا السياق بوصفه شرطاً من شروط تحقق الإفهام على مستوى التلقي الجمعي: (والعربُ تُشَبِّهُ المرأةَ بالشَّمس والقمر، والغُصْنِ، والكَثِيبِ، والغَزالِ، والبَقرةِ الوحشيَّةِ، والسَّحابةِ البيضاءِ، والدُّرَّةِ، والبَيْضَةِ، وإنَّما تَقْصِدُ من كلِّ شيءٍ إلى شيء (...) فهذه تشبيهاتٌ عربيَّة مفهومةٌ) [3].

ولعلَّ من أبرز ما يُستشَّف مما سبق التَّطرق إليه وجرى أنَّ من العوامل الكامنة وراء إصدار الأحكام ضمن هذا المظهر المعياري يقف بجدارة النقد الذوقي في المحطة الأولى ولاسيَّما المعلَّل منه في بعض الحالات الذي يعدُّ أحد السُبل البارزة في الوقوف على جماليات تشبيهات الشعراء في المسيرة النقدية بعد تلمس الأثر التفسيري في هذا المجال، ومن الأمثلة على ذلك نقرأ ما ورد: (من عَجيب التشبيه قولُ القائلِ:

لعَيْنُكَ يَومَ البَيْن أسْرَعُ واكِفًا مِن الفَنَن المَمْطُورِ وهو مَرُوحُ

[1] نفسه، 2: 426.

[2] المبرد، 2: 437-438.

[3] المبرد، 2: 360-361.

وذلك أنَّ الغُصْنَ يقَعُ المطرُ في وَرَقِه فيصيرُ منها في مِثْلِ المَدَاهِنِ، فإذا هَبَّتْ لَه الريحُ لم تُلْبِثْهُ أنْ تُقَطِّرَهُ) [1].

ومن تداعيات هذا المظهر النقدي المقترن بفضاء التشبيه نرى توجَّه المبرّد في بعض النصوص إلى إنصاف للشعراء المُحدثين في تشبيهاتهم وذلك في سياق عرضها ولاسيَّما ضمن باب التشبيه في كتابه الكامل [2] في دلالة على توافر تلك النماذج التي بلغت الغاية في التشبيه – المؤكَّد عليها- وضرورة الإنصاف لها زمنياً في هذا الإطار المعرفي الذي عَني بالوصف أيَّما عِناية في مؤشِّر واضح على الجوهر من البحث عن الغاية في القيمة الجمالية في مختارات باب التشبيه بغض النظر عن الانحياز ضمن قضية القديم والحديث التي لاقت صدى نقدياً وبلاغياً لدى المبرّد كما أثبتت ذلك بعض سياقات البحث في هذا المجال [3] الذي أشَّر أن (مكمن الجِدة في قضية القديم والحديث لدى المبرد في النقاط التالية:

1-المَحك عنده الجودة والإبداع.

2- الاحتكام إلى النص.

3- عامل القِدم والحداثة لايعتبر مقياساً للمفاضلة بين الشعراء.

4- الدعوة إلى الإنصاف وإحقاق الحق للمبدع مهما كان عصره وزمانه) [4] جاء في الكامل: (قال الحسنُ بن هانئٍ في صِفَةِ الخمر: (...) وزاد أبو الحَسن:

فَهْيَ بِكْرٌ كَأنَّها كُلُّ شَيْءٍ يَتَمَـــــنَّى مُخَيَّرٌ أنْ يَكُـــــونَا

فهذه قطعةٌ من التشبيهِ غايةٌ، على سُخْفِ كَلامِ المُحْدَثِينَ). [5]

[1] نفسه، 2: 429.

[2] ينظر: نفسه، 2: 438 - 439.

[3] ينظر: موقف المبرد من الحداثة الشعرية، أنيما شاهن، معروف سراقة، معطيات المبرد (المتوفى275هـ) في النقد الأدبي والبلاغة العربية، مجلة الضاد 3 (1)، 2019، 97-100.

[4] بن طرية، د. عمر، قضايا النقد الأدبي في كتاب الكامل للمبرد، مجلة مقاليد، العدد11، ديسمبر، 2016، 172.

[5] المبرد، ص354-355.

الزاوية الثانية:

هنا سنلمس تلك الانطباعات النقدية التي أسهمت في الوقوف على نماذج تشبيهية دالة على توافر بعض العناصر الجمالية في سياقها الموضوعية القابلة للنقاش والتعليق النقدي، التي أفرزت لنا بعض المعايير النقدية انطلاقاً من هذا الأفق، وارتباطها من جانب تثقيفي بمنحى نقدي أخذ على عاتقه توجيه الأنظار صوب نماذج التشبيه المعروض وذلك لأخذ ما يُؤخذ وترك ما يُترك في هذا الميدان الذي شهد العناية بمفردات التشبيه الشعرية على وفق مستويين:

- الأول: النمطي منها من نحو المقاربة في اللفظ والمعنى ضمن سياقات قضية اللفظ والمعنى، وقضية الصدق والكذب وما يتأسس على هذه الركائز في ميدان النقد القديم من بعد تقويمي يجنح من جانب نحو مفهوم المعيار النقدي.
- والثاني: الذي سجَّل الخروج عن دلالة بعض المفاهيم السائدة في ميدان النقد القديم من نحو الإفراط وسنعرض لهما على النحو الآتي:

1- المقاربة في اللفظ والمعنى:

نقرأ ضمن هذا المستوى ما جاء بعد تأشير وقوع التمثيل الذي هو (أن تذكر مثالاً للهيئة التي عليها المُمثَّل له) [1] في الشعر القديم وقوعاً جمالياً حسناً في النفس من إثر توظيف الأسلوب الفني في نطاق التشبيه البلاغي ضمن جهود تظافرت في الواقع مع ما جاء بالإجماع على ذلك بوصفه سنداً موضوعياً يعزّز الحكم النقدي الصادر تجاه البيت الشعري بعد الوقوف على أسلوب فن التشبيه فيه وتحقُّق المقاربة النادرة فيه من جهة أن النصوص الشعرية الأخرى المحاكية له باتت في سعيها المتكرر إلى هذا المعنى (الغاية) بعيدة عن الوصول إلى غرضها على نحو مختصر ومفهوم ضمن مستويات التلقي وتعدُّ هذه مزيَّة من المكزايا التي تُحسب للبيت المتقدِّم في معنى التشبيه المُختزل من غير إخلال بالمعنى وفي تعدُّد الأنموذج في هذا السياق بيان لأثر عنصر المقاربة التي سعى المُؤلِّف إلى بيان عدم تحققها تباعاً على الرغم من حصولها لدى المبدع على نحو متكِّرر باستخدام تقانة التشبيه الفني الذي جمع أكثر من معيار ضمن الأنموذج الشعري الذي أخذ بجذب الأنظار النقدية من حوله، نقرأ (أحسنُ ذلك ما جاء بإجماع الرُّواةِ مَا مَرَّ لامرئ القيسِ في كلام مختصرٍ في بيتٍ واحدٍ من تشبيه شيءٍ بشيئين مختلفين، وهو قولُه:

[1] زملكان، ابن خطيب، المجيد في إعجاز القرآن المجيد، دراسة وتحقيق: صلاح شعبان، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1989، 76.

كَأنَّ قُلوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا ويابسًا لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ والحَشَفُ البَالِي

فهذا مفهومُ المعنىَ، فإن اعترض معترضٌ فقال: فهَلَّا فَصَلَ فقال: كأنَّه رَطْبًا العُنَّاب وكأنَّهُ يابسًا الحَشَفُ؟ قيلَ له: العربيُّ الفصيحُ اللَّقِنُ الفَطِنُ يَرْمِي بالقول مفهوماً، وَيَرى ما بعدَ ذلك من التكرير عِيًّا (...) ومن تمثيل امرئ القيس العَجيب قولُه:

كَأنَّ عُيونَ الوَحْشِ حَوْل خِبائنا وأرْحُلُنَا الجَـــــــــزْع الذي لَـــم يُثَقَّبِ

ومِن ذلك قولُه:

إذا ما الثُّرَيَّا في السَّماءِ تَعرضتْ تَعَرُّضَ أثْنَاءِ الوِشَـــــــــــــاحِ المُفَصَّـــلِ

وقد أكْثَرُوا في الثُّرَيَّا فلم يأتُوا بما يقارِبُ هذا المعنى، ولا بما يقاربُ سُهولةَ هذه الألفاظِ)[1].

وقد نلحظ عرض الأنموذج الشعري في التشبيه على هذا الأساس من جانب تفعيل السَّبق والمزيَّة المتحققة فيه التي تعود على محور المقاربات النَّصيَّة وما تفرزه من أحكام شتى[2] في هذا الجانب النقدي الذي أفصح في ضوء المثال الوارد عن مقدار الوصف المتحقق في النص الملموس من لدن الناقد، مع إعمال جانب التحقيق في نسبته إلى قائله على هامش العرض الذي أشَّر بمجمله السبق المُطلق في التشبيه في ضوء بلوغ الغاية على نحو نظري موازن معمول به في هذا السياق، أفضى إلى إصدار هذا الحكم النقدي (ومن ذلك قول الآخَرِ، أحْسِبُهُ تَوْبَةَ بنَ الحُمَيِّرِ. قال أبو الحسن: يقالُ إنه لمجنون بني عامر وهو الصوابُ:

كَأنَّ القلبَ لَيلةَ قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلَى العَـــامِرِيَّةِ أو يُـــــــراحُ

قَطاةٌ عَزَّهَا شَـــــــرَكٌ فباتتْ تُجَاذِبُهُ وقَد عَـــــلِقَ الجَنَـــاحُ

(فهذا غاية الاضطراب) وقد قال الشُّعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار).[3]

---

[1] المبرد، 2: 338 -339.

[2] ينظر: نفسه، 2: 433.

[3] نفسه، 2: 343. وهذا الشكل من الموازنات والمفاضلة بين النصوص الشعرية يخرج عن ما ورد لدى: فرحان، د. بان حميد، المنجز البلاغي والنقدي عند المبرد الأزدي – إضاءات جديدة، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية المجلد 5 (2)، العدد 100، السنة 2018، ص324 بعد الوقوف عند إحدى مقولات المبرد بهذا الشأن / يراجع المبرد لطفاً.

ومن النماذج الشعريَّة التي أسهم النقد اللغوي الذي له آلياته وأصوله المعتمدة لدى المبرد [1] في عرضها في بعد تأشير مسار تفعيله في باب التشبيه وما رافقه من وصف ماثل للعيان لاقى استحساناً نقدياً ولاسيَّما بعد أن بلغ من الدرجات الغاية في إطار توظيف المقاربة وقياس فاعليتها في دائرة الغرض الشعري للوصول إلى القصد / الغاية من التشبيه ضمن المنحى البلاغي - النقدي، نقرأ (ومن التشبيه المحمودِ قولُ الشاعر:

طَلِيقُ الله لَم يَمْنُنْ عَـــــــليه أبو داوُدُ وابـــنُ أبـــــــي كَثِـيرِ

ولا الحَجَّاجُ عيَنَيْ بِنْتِ مَاءٍ تُقَلِّبُ طَرْفَهَا حَـــــذرَ الصُّـــقُورِ

وهذا غاية صِفة الجبان. ونَصَبَ " عيَنَيْ بِنْتِ مَاءٍ " على الذَّمِّ، وتأويلُه: أنه إذا قال: " جاءني عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ " فليس يقولُه إلاَّ وقد عرفهُ بالفِسْقِ والخُبْثِ فَنَصَبَه " بأعْني" وما أشبَهه من الأفعال، نحو " أذْكُرُ" وهذا أبلغُ في الذَّم، أن تُقيمَ الصفة مقامَ الاسم، وكذلك المدحُ). [2]

وتفتح بعض إجراءات المقاربة وإشكالاتها السبيل إلى التَّطرق إلى الأخذ بمظاهره النقدية منها على سبيل المثال ما جاء بعد ذكر أنموذجٍ من التشبيه المُصيب يرتبط في المعنى مع المرجع الشعري لاحقاً، كما ورد في قول ذي الرُّمَة الذي أخذ يعالج ضمن الحقل الذي يُعنى بالأبعاد التأصيلية للنص وتحديداً ضمن المظهر الإشاري، قوله (من التشبيه المُصيب:

تَشْكُو الخِشَاشَ ومَجْرَى النَّسْعَين كَمَا أنَّ المَـــــريضُ إلـــــى عُوَادِهِ الوَصِـــــبُ

(...) وذو الرُّمَةِ أخذ ذلك المَعنى مِن المُثَقِّبِ العَبديَّ، قال المُثَقِّبُ:

إذا مَا قُمْتُ أحْدِجُها بلَيْلٍ تَأوَّهُ آهَةَ الرَجلِ الحَـــزينِ) [3]

وقد يؤشِّر الأخذ مع ما فيه من مزيَّة جمالية- بوصفها مُبرراً للاختيار - على مستوى الجملة الشعرية الواردة في البيت القديم الواصف في بابه – المُفسَّر بقول المبرّد: (فمن التشبيه العَجيب قولُ ذي الرُّمَّةِ في صفة الظَّلِيم:

شَحَتْ الجُزَارَةِ مِثْلُ البَيتِ سائِرُه مِن المُســــــــوح خِدَبٌ شَوْقَبٌ خَشِبُ

[1] ينظر: بلاته، نجاة، النقد اللغوي في العصر العباسي – كتاب الكامل للمبرد أنموذجاً، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي – الجزائر، 2013، 41 وما بعدها.

[2] المبرد، 2: 344.

[3] نفسه 2: 347-348.

(...) وقوله: " البيتِ سائِرُه من المُســـــــــوح " يعني: إذا مَدَّ جَنَاحَيْه، وإنما أخَذَه من قول علقمةَ بنِ عَبْدَةَ:

صَعْلٌ كَأنَّ جَناحَيْه وجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أطَافَتْ به خَرْقَاءُ مَهْجُومُ) [1]

يأتي هذا في الوقت الذي يرافق تأشير الأخذ بوصفه يأتي بناءًا على تحديد المرجع الفاعل في المعنى الشعري الموظَّف في مختارات المبرد ضمن باب التشبيهات بعض الظواهر الدالة على عملية استقراء الشعر من نحو ذكر الزيادة الحاصلة في المعنى الأصيل بالتداول المشروع وذلك عن طريق قيام المُبدع بالشرح والترتيب للمعنى القائم ضمن حدود الغرض الواحد، فضلاً عن رصد بعض النصوص الشعرية المتناظرة في المعنى الشعري. أمَّا من الأخذ مع الزيادة في الشرح والترتيب الحاصلة فيه تباعاً فنقرأ ما جاء بالقول: (ومن حَسَنِ ما قالوا في التشبيه قولُ إسماعيلَ بن القاسم أبي العتاهية للرشيد:

أمينَ الله أمْنُكَ خَـيْرُ أمْن عَليك مِـــــنَ التُّقَى فيـــهِ لِبَاسُ

تُسَاسُ مِن السَّماء بكلِّ بر وأنتْ به تَسُوسُ كَما تُسَاسُ

كأنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ لَه جَسَدٌ وأنتَ عَلـــــــيه رَاسُ

وقد أخذَ هذا المعنى عليّ بن جَبَلَةَ فقال في مَدْحِهِ حُمَيْدَ بنَ عبدِ الحَميدِ، وزادَ فِي الشَّرح والترتيب، فقال:

يَرْتُقُ ما يَفْـــــــــتُقُ أعداؤُهُ ولَيْسَ يأسُـــــــــــــــو فَتْقَهُ آسِي

فالنَّاسُ جِسْمٌ وإمامُ الهُدَى رأس وأنتَ العَيْنُ في الرَّاس) [2]

وقد نلحظ على هذا المستوى أيضاً تأشير الأخذ المعنوي من الأنموذج النثري الحاضر في سياق التأليف (قال الحسنُ بن هانئٍ:

مَا حَطَّكَ الواشون من رُتْبَةٍ عندي ولا ضَـــــــــرَّكَ مُغْتَابُ

كأنَّما أثْنَوا ولَم يَعْـــــــــــلَمُوا عَليكَ عندِي بالذي عَـــــــابُوا

[1] المبرد، 2: 341.

[2] نفسه، 2: 438 -439.

وهذا المَعنى مأخوذٌ من قول النُّعمان بن المُنْذِر لحجْلٍ بن نَضْلَةَ، وقد ذَكر معاويَة بن شَكَل، فقال: أبَيْتَ اللَّعْنَ، إنَّه لَقَعْوُ الأَلْيَتَيْنِ، مُقْبِلُ النعلين أفْحَجُ الفَخِذَيْن، مَشَّاءٌ بأقْرَاءٍ، تَبَّاعُ إماءٍ، قَتَّالُ ظِباءٍ، فقال النعمانُ: أردت أن تَذِيمَهُ فَمدَهْتَه (...) وقوله " تَذِيمُه " معناه تذمه (...) وقوله " فَمَدَهْتَه " يقول: فَمَدَحْتَه) [1].

وجاءت بعض مظاهر تأشير الأخذ من سبيل رصد التماثل على مستوى البيت الشعري من النص الذي قاد المؤلف إلى تأشير التشبيه المقارب إلى أقصى الحدود وذلك بقوله: (قال الشَّمَّاخُ في صِفة الفَرس:

مُفِجُّ الحَوَامِي عَـــنْ نُسورٍ كَأنَّها نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عَن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ

... ومثلُ البيت الأولِ قولُ عُقْبَةَ بن سابقٍ:

لهُ بَيْنَ حَوَامِيهِ نُسُورٌ كَنَوى القَسْبِ

فهذا تشبيه مقاربٌ جدًّا) [2].

وأمَّا من التناظر الذي يعدُّ كذلك مظهراً من المظاهر الدالة على وقوع المقاربة المُستحسنة ذوقياً بين النصوص المتقاربة في الآليات التي تقود إلى الغاية ذاتها في سياق المعنى الشعري ولاسيَّما المُحدثة منها الواردة فنقرأ: (ومن حَسَنِ التَّشْبيه قولُ بَشَّارٍ: (...) وهذا التشبيه الجامع ونظيرُه في جمع شيئين لِمَعْنَيين ما ذكرتُ لكَ من قول مُسْلِمِ بنِ الوليدِ:

..... كأنَّ في سَرْجِهِ بَدْرًا وَضِرْغَامَا

(...) فهذا حسنٌ في هذا جدًا). [3]

2- الصدق والكذب:

نلمس بعض النصوص التي سلَّطت الضوء على هذا المعيار التثقيفي القائم على مراعاة أصول ثنائية كانت مثار جدل، وذلك بعد العودة إلى بعض الأخبار والروايات المنقولة من المصنَّفات في هذا الشأن ولاسيَّما المألوفة منها تلك التي أفادت عرض حوار نقدي دار مع الشاعر وجهاً لوجه حول ما

[1] المبرد، 436-437.

[2] نفسه، 2: 410- 412.

[3] المبرد، 2: 438.

ذهب إليه من قول ضمن هذا الميدان، بعد التأكد من ذلك، مشفع بذكر البديل التقويمي المفعَّل مع هذا المعيار النقدي المستند في صميم إجراءاته إلى فضاء الصدق الفني وتداعياته، بل والترويج إليه بوصفه أُنموذج الإحتذاء في المعنى القائم بعد عملية التلقي للمعنى الأول- مثار الملاحظة النقدية التقويمية- الذي شهد على أساس ما ذهب إليه نقداً لاذعاً يقتضي سريعاً على الشاعر العودة إلى مدارج الشعراء الأقدمين والأخذ بأسبابهم في صياغة المعنى من هذا المفهوم، في دعوة من الدعوات إلى المقاربة المطلوبة مع المرجع الموضوعي، الأمر الذي أسهم في التأسيس لشعرية المعيار في النقد العربي القديم التي (تعتمد على العقل لتحقيق مبدأ عدم التناقض في حدود ما هو منطقي ومعقول، ليتجسَّد الائتلاف والوضوح) [1] ومن هذا المنطلق (عاب بعضُ الناس قول كُثَيِّرٍ:

فَما رَوْضَةٌ بالـحَزْن طَيْبَة الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَثْـــــــــــجَاثها وعَرَارُها

بمُنْـــخَرق من بَطْـــــن وادٍ كَأنَّما تلاقَتْ به عَطَّارَةٌ وتِجَـــــــــــارُهَا

بأطْيَبَ من أرْدان عَـــزَّةَ مَوْهِـــنًا وقد أُوقِدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُهَا

وحكَى الزبيريون: أنَّ امرأةً عَرَضَتْ لكُثَيِّرٍ فقالت: أأنْتَ القائل هذين البيتين؟ قال: نعم، قالت: فَضَّ الله فاك أرأيتَ لو أن زِنْجِيَّةً بَخَّرَتْ أردانَها بمَنْدَلٍ رَطْبٍ أمَا كانت تَطيبُ؟ ألا قلتَ كما قال سَيِّدُكَ امرؤُ القيس:

ألم تَرَياني كلَّمَا جئْتَ طارقًا وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لَمْ تَطَّيَبِ) [2]

وعلى هذا المستوى نلمس العرض لسياق الخبر ضمن أسلوب الإستفهام الاستنكاري الذي خرج إلى هذا الغرض الداعم لموضوع المصداقية في الشعر وضرورة توافرها، إذ (قيل إنَّ امرأةَ عِمْرَانَ بنِ حِطَّانَ قالت لَه: أما زعمت أنَّك لم تكذبْ في شعرٍ قَطُّ؟ قال: أوَ فَعَلْتُ؟ قالت: أنت القائلُ:

فهُناك مَجْزأةُ بنُ ثَوْ رٍ كان أشْجَعَ من أُسامَهْ

أفيكونُ رجلٌ أشجعَ من الأسدِ؟ قال: أنا رأيتُ مَجْزأةُ بنُ ثَوْرٍ فتح مَدِينةً والأسدُ لايفتحُ مدينةً)[3].

[1] قداوية، د. يعقوبي، الشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون – تيارت، الجزائر، المجلد الرابع، العدد السادس عشر، ديسمبر، 2016، 265.

[2] المبرد، 2: 415.

[3] المبرد، 2: 424-425.

ومما يعزّز هذا التَّوجه المعياري النقدي بوصفه من أولويات المبرّد تسليط الضوء على الخروج عن المنحى الحقيقي في ضوء بعض التشبيهات التي عرضها ونظرته الموضوعية إليها من هذا الجانب الذي يلتزم المقاربة معياراً التي تتواءم مع سياقات الحقيقة الموضوعية وتداعياتها النقدية. قال أحد الباحثين بهذا الشأن: (إننا لانلبث أن نجد المبرّد في سياقات أخرى سيء الظن بالمبالغة والتشبيه المُتجاوز، متشبثاً بضرورة مطابقة الفن القولي للحقيقة الموضوعية أو أن يقع قريباً منها على الأقل). [1]

فائدة في ارتباط (التقويم) بهذا المحور:

بعد أن لمسنا فيما سبق بعض أشكال هذا المظهر المعياري –إن صحَّ التعبير- في الوقوف مع بعض التشبيهات سعى هذا المنهاج التطبيقي الحاضن في خطوات تعامله مع النصوص التشبيهية إلى تقديم الأنموذج الشعري البديل في بابه بعد مرحلة عرضه على البيت القديم في غرضه الشعري الذي يتطلَّب على وفق قراءة فاحصة عنصر التقويم الحاضر في شعر الناقد – الشاعر الذي أخذ يتولَّى بنفسه زمام هذه العملية التأصيلية – التقويمية ذات البعد التعليمي – النقدي، ولعلَّ هذا الأمر في ضوء مسيرته وانعطافاته استطاع في المجالات التي كان يوظَّف فيها أن يبرز بوصفه أحد الدوافع التثقيفية الأخرى التي تجعل إعادة النظر النقدي في المُنجز النصي أمراً مُلزماً للمبدع في سعيه إلى تقديم أعماله على النحو الذي لايؤشّر في خطوطه العامة خروجاً عن الدارج في هذا المجال الذي يسلِّط الضوء على تلاقي الأبعاد التقويمية الواردة في النص في أدناه مع عناصر منهاج المبرد في تفسير الشعر [2] لأغراض تقويمية إذ (أُنْشِدَ بَشَّارُ بن بُرْدٍ الأعمَى قولَ كُثَيِّرٍ:

ألا إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرَانَةٍ *** إذا غَمَزُوها بالأكُـــــــــــــــــفِ تَلِيْنُ

قال: فقال: لله أبو صَخْرٍ جعلَها عصًا، ثم يَعْتَذِرُ لها؟ والله لَو جعلَها عَصا مُخٍّ أو زُبْدٍ لكان قد هَجَّنَها بالعَصَا، ألا قال كما قلت:

وبَيْضَاءِ المَحَاجِرِ مِنْ مَعَدَّ *** كأنَّ حَدِيثَها قِطَـــعُ الجِنَانِ

إذا قَامتْ لسُـــــــبْحَتِهَا تَثَنَّتْ *** كأنَّ عِظَامَها مِـــــن خَيْـزُرانِ) [3]

[1] صمو، 354.

[2] ينظر: فاهم، شيماء خيري، منهج المبرد في رواية الشعر وشرحه في كتاب الكامل، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 19، صيف 2011، 7.

[3] المبرد، 2: 414.

ونلمح بعض ملامح هذا الإجراء النقدي القائم على التقويم في جانبه التعليلي – التثقيفي المؤمَّل حضوره في النصوص اللاحقة الإنجاز التي تتواءم مع النماذج الحيَّة في هذا المجال، مع تحديد أبعاد التشبيه البعيد الذي ينحو منحى مغايراً للمقاربة التي سعت أغلب التشبيهات العربية إلى تحقيقها ضمن هذا التيار التي قدَّم لها القرءان الكريم نماذج راقية منها (وأما التشبيهُ البعيدُ الذي لايقومُ بنفسِه فكقوله:

بَل لو رَأَتْني أخْتَ جيرانِنا *** إذْ أنا فِي الدَارِ كَأني حمـــارْ

فإنما أراد الصحة فهذا بعيدٌ، لأنَّ السامِعَ إنما يستدلُّ عليه بغيره، وقال الله جلَّ وعزَّ – وهذا البَيِّنُ الواضِحُ – (كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفارًا)[1].

وقد يكون سبب التقويم غير المقترن بالشرح والتعقيب سبباً نحوياً محضاً يتمثَّل في اللحن الواقع في سياق التشبيه الناجز المُستحسن ولكن بعد المرور بمرحلة تقويمه لغوياً تلك المرحلة اللازمة التي تزيل اللبس الحاصل في هذا السياق لتقدِّم مثالاً تشبيهياً سليماً من العيوب النحوية جاء بعد مرحلة التقويم كما ورد في الرواية المنقولة الآتية التي سلَّطت الضوء على بعض ما كان يدور في المجالس الأدبية من مظاهر نقدية ـ لغوية تصدَّى لها بعض الخلفاء النُّقاد في حينها (قال: وحُدِّثْتُ أنَّ العُمَانِي الراجزَ أنشدَ الرشيدَ في نَعْتِ فرسٍ:

كأنَّ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفَا *** قَادمةً أو قَلَمًا مُحَرَّفَا

فعلمَ القومُ كلُّهم أنه قد لَحَنَ، ولم يهتدِ أحدٌ منهم لإصلاح البيتِ إلا الرشيدُ، فإنه قال له: قُلْ:" تَخالُ أُذْنَيْه إذا تَشَوَّفَا "، والراجزُ وإن كان قد لَحَنَ فقد أحسنَ التشبيه). [2]

3- الإفراط:

ثمَّة معايير نقدية منبثقة عن قراءة النصوص التشبيهية عزَّزت من جانبها النظرة الجمالية إلى بعض التشبيهات ضمن الغرض الشعري، مع توثيق المفارقة بين ماهو سائد من دلالة المصطلح النقدي وعملية إعادة قراءته على حسب معطيات النص الإبداعي [3]، إذ نلمح في هذا السياق رصد المستوى المُتحقق من البلاغة في الوصف العنصر الداعم للأنموذج المختار من جهة الإفراط في

[1] نفسه، 2: 427.

[2] المبرد، 2: ص433-434.

[3] ينظر: مطلوب، د. أحمد، معجم النقد العربي القديم، ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، ص202-204.

تناول المعنى لدى الشاعر بناءً على ما ورد في نظام التشبيه في سيرِ الناقة وحركة قوائمها (وقال آخر:

كَأَنَّ ذِراعيـــــــــها ذراعا بَذِّيَةٍ *** مُفَجَّعَةٍ لاقَتْ خَلائِلَ عَـــــــن عُفْرِ

سَمِعْنَ لَها واسْتَفْرَغَتْ فِي حَدِيثِها *** فَلا شَيءَ يَفْري باليدَيْن كَما تَفْري

ولو قيل: إن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ما كان ذلك بعيداً، وَصَفَها بأنها بَذِيَّةٌ وقد فُجِعَتْ بما أُسْمِعَتْ ونِيلَ منها، ولقيَتْ خلائِلها بعدَ زمانٍ، وتلك الشكوى كامنةٌ فيها). [1]

وجاء التشبيه المرصود في حقل الإفراط الذي خرج إلى منطقة الكلام الجيد بدلالات ذوقية استندت في مجملها إلى جملة مقاييس نقدية أفادت هذا المظهر النقدي - البنائي تتعلَّق بجودة اللفظ، وحسن الرصف واستواء النظم. جاء في هذا الشأن (ومن عجيب التشبيه في إفراطٍ غيرَ أنه خرج في كلامٍ جيدٍ، وعني به رجلٌ جليلٌ فَخَرَجَ من باب الاحتمالِ إلى باب الاستحسان، ثم جُعِلَ لجودة ألفاظِهِ وحسنِ رَصْفِه واستواء نظمِه في غاية ما يُسْتَحْسَنُ قولُ النابغة (...)). [2]

الخاتمة:

أشَّرت الفرضية البحثية حول توافر مظاهر المقاربات ودلالاتها في النماذج الشعريَّة التشبيهيَّة المدروسة عن توافر بعض نقاط تشابه جوهرية بين المحورين اللذين قام البحث الحالي عليهما، ويأتي مظهر التقارب المرصود ودلالاته ضمن إطار غايات نقدية وأبعاد راسخة جاءت على نحو واضح استجابة لمتطلَّبات المنظومة الفكرية – التطبيقية التي تعاملت ضمن هذا الأفق مع حقل التشبيهات الشعريَّة التي لم تكن بمنأى عن المعايير التي حدَّدت مسارات نماذجها الإبداعية.

النتائج:

أبرز المقاربات الحاضرة في هذا البحث ودلالاتها الناجمة عن توافر نقاط تشابه بين محوري البحث الحالي نجملها على النحو الآتي:

1- حضور (الذوق الجمالي) الذي خرج في بعض الأحيان إلى تحديد أبعاد موضوعية أحاطت بالحكم النقدي المنبثق من هذا الفضاء.

[1] المبرد، 2: ص406.

[2] المبرد، 2: ص425.

2- يعد (البعد التثقيفي) عنصراً من العناصر التي كانت حاضرة في النماذج التشبيهية التي ارتهنت بمقدار تحقيق المقاربات في فن التشبيه البلاغي على نحو كبير الذي جاء منساقاً مع المعايير النقدية، والبحث من هذا المنطلق عن الوسائل الكفيلة في الوصول إلى هذه الغاية ذات الجوانب الموضوعية.

3- كان لهذا الشكل المتداخل من المقاربات – إن صح التعبير- الأثر الكبير في تحديد عددٍ من القضايا النقدية في هذا الباب ولاسيَّما قضية القديم والحديث، كما ارتبطت بهذه الدائرة بعض مظاهر قراءة النص التشبيهي قراءة إبداعية من لدن المؤلِّف ولاسيَّما بعد توظيف الإفراط في الموصوف لدى الشاعر هذا الجانب الذي كشف عن (مقاربات ومباعدات) فرعية جاءت ضمن دلالة المصطلح النقدي في سياق توظيفه، فضلاً عن أخرى قارَّة كانت ماثلة في السياقات العامة لعمل المبرد الراوية والناقد... على حسب ما ذهبت إليه الأبحاث والدراسات السابقة.

4- دلَّت المقاربات ضمن أنظمتها على أنَّ المقصود من عرض المختارات التشبيهية جاء لغرض الوقوف على الغاية في الأنموذج الشعري الذي كان محطَّ اهتمام نقدي نجم عنه توافر عنصر التقويم النقدي المصاحب لظاهرة المقاربة ومما تتطلَّبه من وجه يفيد تحقُّقَها من عدمه في النص الشعري.

التوصيات:

نوصي بالقيام بدراسة المقاربات والمباعدات الشعرية لدى المُبرد- دراسة نقدية.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- زملكان، ابن خطيب، المجيد في إعجاز القرآن المجيد، دراسة وتحقيق: د. صلاح شعبان، دار الثقافة العربية، القاهرة، ط1، 1989.
- صمو، حمادي، التفكير البلاغي عند العرب / أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، منشورات الجامعة التونسية، 1981.

- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، تح: د. عبد الحميد هنداوي إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1998.
- مطلوب، د. أحمد، معجم النقد العربي القديم، ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989.

الرسائل الجامعية:

- بلاته، نجاة، النقد اللغوي في العصر العباسي – كتاب الكامل للمبرد أنموذجاً، مذكرة ماستر، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي – الجزائر، 2013.
- بن حدو، وهيبة، التشبيه عند المبرد، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية الجزائر، 2006.

الدوريات:

- أنيما شاهن، معروف سراقة، معطيات المبرد (المتوفى275هـ)، في النقد الأدبي والبلاغة العربية مجلة الضاد / 3 (1)، 2019.
- بن طرية، د. عمر، قضايا النقد الأدبي في كتاب الكامل للمبرد، مجلة مقاليد، العدد11، ديسمبر 2016.
- فاهم، شيماء خيري، منهج المبرد في رواية الشعر وشرحه في كتاب الكامل، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد 19، صيف 2011.
- فرحان، د. بان حميد، المنجز البلاغي والنقدي عند المبرد الأزدي – إضاءات جديدة، مجلة كلية التربية الأساسية الجامعة المستنصرية، المجلد 5 (2)، العدد 100، السنة 2018.
- قداوية، د. يعقوبي، الشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون – تيارت، الجزائر، المجلد الرابع، العدد السادس عشر، ديسمبر، 2016.